

مع أبي الأنبياء إبراهيم (ع)

حين تلتقي القداسة والمعاجز في مكان واحد

< تحقيق وتصوير: وليد عبد
الأمير علوان

عندما أراد النمرود أن يتحدى إبراهيم وريه، بنى برجاً عالياً وصعد عليه، وبدأ يرمي السهام نحو السماء، فعاد إليه سهم منها، وقد اصطبغ باللون الأحمر، فخيل إليه أنه قد أصاب مرماه، ولكنه لم يلبث أن سقط على الأرض، وسقط معه قومه، ونهضوا من سقطتهم، وهم يتصايحون بكلام لا يفهمونه، لأنه أصابهم زلزال هزّ الأرض من تحتهم، وقوض البرج، وهدم أركانها، وكانوا في حيرة من أمرهم، لا يدرون ما يفعلون، ولا يفقه السامع منهم ما يقال له، ولهذا سميت المدينة في موضع البرج بـ(بابل)، من ببللة الألسن والأفكار، وإن كل هذه الآثار لا زالت موجودة في مدينة الحلة، والتي تقع على مسافة (102 كم) جنوب العاصمة بغداد.

بطائل، الأمر الذي أخاف أم إبراهيم، واضطرها للجوء إلى كهف بالقرب من منطقة (كوثا)، وفي الغار جاءها الخاض، ورأى إبراهيم الخليل نور الحياة الدنيا للمرة الأولى، حيث وضعت هناك وقمطته، ورجعت إلى منزلها، وسترت باب

بضمحل ملكه ونعيمه، وعندما زار أحدهم أم إبراهيم (عوشاد)، للكشف عليها، قبل أن يأتيها الخاض، وجس جانبها الأيمن، انتقل الجنين إلى الجانب الأيسر، وعندما جس الجانب الأيسر، حرك الجنين إلى الجانب الأيمن، وانصرف دون أن يظفر

الموقع والتسمية

ع لى بعد خمسة عشر كيلو مترا، من محافظة بابل (الحلة)، وفي منطقة (الحمّاد) حالياً، و(برس) قديماً، ومنذ أربعة آلاف عام تقريبا، كانت هناك مدينة عامرة، هي مدينة (برس)، كانت تجاور مدينة بابل، بل كانت من ضواحيها.

اشتهرت المدينة بكونها مركزا لعبادة الإله البابلي (نابو)، الذي عبده العراقيون القدماء، وعدوه إله الحكمة والمعرفة، وجعلوه ابن مردوخ (إله بابل الشهير)، وسمي معبده بـ(بورسيبا)، ومعناه باللغة السومرية (البيت المكين)، وكان ازدهار المدينة في عهد الملكة البابلية المتأخرة المعروفة بـ(السلالة الكلدانية)، لا سيما في حكم نبوخذ نصر ابن الملك نبوبلاسر، واستمرت المدينة في كل العهود التالية مأهولة بالسكان، حتى في العهد الإسلامي، كما جاء في أخبار الفتوح العربية الإسلامية للعراق.

مقام ولادة النبي إبراهيم (ع)

عندما أخبر المنجمون النمرود بأنه سوف يأتي مولود ينسخ دين الملك إلى دين آخر، ومن جبروته وخوفه على مصير ملكه من هذا المولود، نشر عماله في كافة أنحاء المملكة، لمراقبة الحوامل، وقتل الذكور من المواليد، ليظفر بالمولود، لئلا



The entrance

مدخل المقام



The spot of Abraham's birth

مكان الولادة وتعلوه اللوحة الخاصة بأداب زيارة المقام



الصخرة التي وضعت عليها أم إبراهيم وليدها المبارك ويلاحظ النقر التي فيه والتي تظهر فيها المياه كلما جفت

The rock on which Abraham was born

الكهف بالحجارة، وقد جعل لله له من إبهامه غذاءً وتسليية، وكانت تأتيه أمه إلى الغار يوميًا. للاطلاع عليه. وهكذا شب إبراهيم حتى وصل عمره إلى ثلاث عشرة سنة، وبسبب تشبته بأمه لإخراجه من هذا الغار، فقد وافقت على ذلك مجبرة، وقد حدد المؤرخون أن ذلك قد وقع تقريبًا في القرن التاسع عشر قبل الميلاد.

يقع مقام ولادة النبي إبراهيم (ع) على ربوة، بحيث يمكن مشاهدته من بعيد، في منطقة أطلال مدينة (كوثا) والتي ما زالت قائمة لحد الآن. وتسمى المنطقة أيضًا بلتل إبراهيم). وإلى جانب هذا التل، يقع هذا المزار، والذي يتم الوصول إليه، عبر طريق ترابي يخترق مناطق زراعية.

يتم الدخول إلى المقام عبر بوابة خشبية، توجد في أعلاها اللوحة الخاصة بالمقام، ومكتوب فيها "مقام ولادة النبي إبراهيم عليه السلام". وعند اجتيازها تصل إلى الصحن، والذي تبلغ أبعاده (50x50م). وهو صحن محاط بسياج متوسط الارتفاع وأرضيته مكسوة بالمرمر الاعتيادي. عند اجتيازك الصحن، وعبر باب خشبي، تصل إلى مر صغير، وعند اجتياز هذا الممر، وعبر سلالمة، هناك فسحة تقام فيها الصلاة، وتضم خزنة فيها مصاحف وبعض الكتب الخاصة بالأدعية وأداب الزيارة. يجلس متولي هذا المقام في إحدى الزوايا، حيث يضع أمامه منضدة صغيرة، يقوم من يدخل هذا المكان بوضع عملة نقدية بسيطة عليها، وهو يقوم بدوره بإعطاء المتبرع قطعة قماش خضراء اللون للتبرك، على الجهة اليمنى من هذه الفسحة، يوجد سلم ينزل بالزائر إلى المغارة التي ولد فيها إبراهيم (ع). وهذا السلم يتكون من ثماني عشرة سلمة.

عند الانتهاء من السلم وعلى الجهة اليسرى، هناك الموضع الذي ولد فيه أبو الأنبياء. يضم هذا الموضع الصخرة التي تم وضعه عليها عند ولادته، وهي صخرة يميل لونها إلى اللون الأصفر، وتحتوي على نقرتين يظهر فيهما ماء، كانت تنبعث منه رائحة زكية، إلا أن الرائحة اختفت في الفترة الأخيرة، بسبب عبث العابثين، كما يقول متولي المقام، وهناك فيها أيضًا نقرتان أكبر حجمًا، لم يعرف عنهما ظهور الماء فيهما. وإن شكل هذه الصخرة هو أقرب إلى الشكل البيضوي، يغطي الشباك المحيط بهذه الصخرة من الداخل قطعة معدنية عاكسة، تضيء

من زائر واحد فقط. توجد في أعلى هذا الشباك لوحة خاصة بأداب الزيارة، وهناك أمام الصندوق مكان تم فرشته بالسجاد، حيث يقوم الزوار بتأدية صلاة الزيارة في هذا المكان، والذي لا يتسع لأكثر من عشرة مصليين.

إن السكينة والطمأنينة، التي يشعر بها، كل من

على المكان جمالاً، وأرضيته مبلطة بالسيراميك. أما الشباك المحيط بهذه الصخرة من الخارج فمصنوع من الخشب الصاج، ويوجد في أعلاه مشبك معدني، ويوجد على جهته اليمنى باب صغير يسمح لدخول الزوار للتبرك، ووضع النقود، علماً أن هذا المكان لا يتسع لأكثر

حتى قيل إن المرأة كانت تبني غزلها وتشترى بثمنه حطباً. إلا أنه وبسبب بُعد الفترة الزمنية التي تمتد إلى أربعة آلاف عام، وعوامل الطبيعة، فإن هذه الحفرة قد اختفت وتحولت إلى تل صغير أول ما يجذب الناظر إليه هو لون ترابه، الذي يميل إلى اللون الرمادي، من آثار الحريق الهائل.

ولكي يكون هذا المكان شاخصاً فقد تم وضع بعض الأعلام الصغيرة للدلالة عليه، ولعل أغرب ما سمعنا عن هذا المكان، أن عدداً من العوائل قامت ببناء بيوت لها على مقربة من هذه الحفرة، إلا أن النار قد شبت في هذه البيوت جميعاً، وفي لحظة واحدة، وأنت على كل ما فيها، وخلال دقائق معدودة، لذلك لم نجد أحداً يسكن بالقرب من هذه المنطقة، باستثناء بيتين. ولدى السؤال عن سبب بقاء أصحاب هذين البيتين في هذه المنطقة الخطرة، أخبرنا الدليل بأنه ليس لديهم أي بديل سوى اللجوء إلى هذا المكان، والمجازفة بحياتهم وممتلكاتهم، لأسباب خاصة بهم، هذا وإن أهالي المنطقة يسمون هذا الموضع بـ(إيشان حركة)، و(الإيشان باللهجة الدارجة لدى القرويين في العراق معناها المكان المرتفع من الأرض، والحركة) معناها الاحتراق.

إن هذا الموقع المقدس، والمواقع الأثرية التي تحيط به، تحتاج إلى اهتمام أكبر، وبما يتناسب مع قدسية مقام الولادة، والأهمية التاريخية للرقورة، والحرقة، ومكانة أبي الأنبياء، وثاني أولي العزم، الرسول النبي، إبراهيم الخليل (ع). ■

وهناك، وكذلك وجود بقايا الأجر، المتساقطة على شكل كتل مختلفة الأحجام، كبيرة وصغيرة، من البرج المدرج بسبب الحريق الشديد الذي أصاب البرج وحول معظمه إلى صخور متحجرة. وقد قيل في ذلك أيضاً، إن البرج تعرض لصاعقة من السماء، ولعله كان عقاباً للجبابرة وانتصاراً للنبي إبراهيم (عليه السلام). إن كل ما تبقى من هذا الصرح هو أجزاء متقطعة من بقايا الرقورة، ولعل من المشاهد الغربية في هذا المكان، أن بعض الأجر الذي استخدم في بنائه لا يزال على حاله كما هو، إلا أنه أصبح على شكل كتل متماسكة، كما يشاهد بوضوح، وجود عدة ثقوب في هذا البرج، ولا يعرف بالضبط عن السبب في وجودها.

الحرقة

لعل الوصول إلى هذه الحرقة، كان من أصعب مراحل هذه الزيارة، كونها تقع في منطقة يصعب الوصول إليها بالنسبة للزائرين، لذلك اضطررنا للاستعانة بدليل من أهل المنطقة لتسهيل عملية الوصول إلى هذا المكان والذي لم يشاهده حتى بعض أهالي هذه المنطقة والمناطق القريبة منها لأن الطريق المؤدي إليها طريق متعرج صعوداً ونزولاً، تنتشر فيه الأشواك والوحل والحفر، إلا أن تلهفنا للوصول إلى هذا المكان هو الذي دفعنا لتجاوز هذه الصعاب. كان هذا المكان في الأصل حفرة كبيرة، تم ملؤها بالحطب والخشب، الذي جمعه كل أفراد المملكة،

يدخل إلى هذه المغارة قد لا تجد نظيراً لها في أية أماكن أخرى، ناهيك عن حالة التجلي التي تعترى من يدخل إلى هذا المكان، وما يربيه من استحضار لما جرى لأبي الأنبياء من أحداث، خلال مكوثه في هذا المكان لمدة ثلاث عشرة سنة. توجد في أعلى المقام قبة مزينة بالكاشي الكبرلائي الملون (ارتفاعها 20 متراً)، ويغلب لون الخضرة على سطحها، مع وجود خطوط صفراء تقسمها إلى أشكال جميلة.

الرقورة

تقع هذه الرقورة على مسافة ليست ببعيدة عن هذا المقام، حيث تشاهد وبكل وضوح منه، ويفصل بينها وبين المقام منخفض من الأرض، ويعتقد أنه ربما يكون شارع المدينة الرئيسي. يحتوي هذا المكان على بقايا البرج، أو المدرج، الذي يرجح الباحثون أنه كان مكوثاً من سبع طبقات، وترتفع بقايا البرج سبع وأربعون متراً عن السهل المحيط به، وهو يعد من أهم الأبراج المدرجة الباقية من مدن العراق القديم، وربما كانت المنطقة المحيطة بهذا البرج أجزاء مهمة من المدينة، ولقد وضع في أعلى هذا البرج المنجنيق الذي رمي بواسطته إبراهيم (ع) إلى الحفرة التي أعدت لغرض حرقه فيها. من المشاهد التي تمت ملاحظتها لدى جئنا في هذا المكان، وبوضوح، آثار الحريق الذي أصاب هذا البرج، والذي يظهر جلياً للناظر من خلال السواد الموجود على الصخور المتناثرة هنا



مكان الحفرة وجميع الحطب والذي تحول إلى تل صغير بسبب عوامل الطبيعة
Nature has transformed the place of the burning pit into a small hill



مكان الحفرة
The place of the burning pit